ذلك حتى قبل ان أطفئت نار الحرب . وزعمت آثينة ان المدن كانت أخذت على انفسها العهد على الدهر فاضطرتها الى ان تؤدي ما يطلب اليها . حتى اذا وضعت الحرب اوزارها لم تجد خزانة ديلوس فتيلاً ولذلك نقلها الآثينيون الى مدينتهم واستخدموها في ابتناء المصانع والمعاهد . ولطالما كانوا يقولون ان المتحدين يؤدون ما ينتقاضونه من الضرائب للخلاص من ايدي الفرس فمن ثم لم يكن لهم ما يطالبون به بتة ما دامت آثينة تدفع عنهم عادية الخاقان الاعظم . وهذا مما غير حالة المتحالفين فصاروا ملزمين بدفع الضرائب لآثينة وما عتموا ان امسوا رعاياها فزادت آثينة في قطائعهم واكرهت مواطنيهم على المثول امام المحاكم الآثينية بل قد انفذت بطواريء من قبلها ليستعمروا جانباً من ارضهم وبهذا النظر اصبحت آثينة ام القرى تحكم زهاء ثلثمائة مدينة متفرقة في الجزر وشواطيء الارخبيل وتجبي قطيعة قدرها ستمائة تالان في كل سنة .

الصنائع في بلاد اليونان

آثينة على عهد الامبراطور بيركليس

بيركليس — كانت آثينة في منتصف القرن الخامس من اقدر المدن اليونانية يدير امرها بيركليس احد ابناء الأسرات العظيمة وكان مقلاً من الكلام غير متبذل في شخصه ولم يكن يتوقع في اعماله رضى الامة بل كان الآثينيون يحترمونه ولا يجرون الا على نصائحه وهو معروف بانه متمكن من شؤون الادارة ومعرفة البلاد ولذلك دخلوا تحت سيطرته وحكمه فادار سياسة آثينة كلها اربعين سنة كما قال معاصره توسيديس المؤرخ : ان الحكومة الديمقراطية كانت موجودة بالاسم بل كانت تلك الحكومة حكومة الوطني الاولى على التحقيق

آثينة ومصالحها — كانت منازل القوم الخاصة في آثينة كما في معظم المدن اليونانية ضيقة واطئة متراكمة بعضها على بعض يكون منها ازقة ضيقة منعطفة سيئة التبليط . وقد جعل الآثينيون عظمتهم في معالمهم العامة . فمنذ اخذوا يجبون من محالفيهم قطائع لتصرف في سبيل الحروب كانوا ينفقون النفقات الطائلة في اقامة ابنية جميلة فعمروا في ساحة احد الشوارع رواقاً مزيناً بالصور (الفيسيل) وانشؤا في المدينة دار تمثيل ومعبداً اكراماً لتيزيس احد ابطالهم واوديون معبد الشعر والموسيقى وذلك للمسابقة في هذا العلم . ولكن قامت اجمل المباني على صخرة الاكروبول كأنها على قاعدة هائلة وهما معبدان (احدهما وهو البارتينون جعل قربى للعبودة آثينة حامية مدينة آثينة) وهيكلاً ضخماً من التلز يمثل آثينة وسلماً من الآثار الجليلة يصل الى البروبيلي وراق الرخام في آثينة . ومن ذلك العهد كانت آثينة اجمل بلاد اليونانية وانضرها .

عظمة آثينة — ومع ما خصت به آثينة من الصفات المشار اليها كانت ايضاً مدينة اهل الصنائع فقد حشر اليها الشعراء والخطباء والمهندسون والمصورون والنقاشون وكان بعضهم من اهل آثينة ووجهائها وجاءها البعض الآخر من اطراف ارض يونان يحملون الى تلك المدينة العظيمة نتائج صناعاتهم وطُرف ضرائبهم . لا جرم انه نبغ كثير من ارباب الصنائع اليونان لم يكونوا من اهل مدينة آثينة وذلك قبل القرن الخامس وبعده بكثير من الزمن ولكن قلّ ان اجتمع هذا القدر العظيم من ارباب الصنائع في مدينة واحدة ولقد كان معظم اليونانيين من اكيس ارباب المعارف في الصناعات وموادها بيد ان الآثينيين فاقوا غيرهم بحسن ذوقهم وصنع ايديهم وامتازوا بعقول مثقفة ورغبة في الطرف وآثار الظرف واللطف . ولئن جاء من ابناء يونان امة رفيعة القدر عالية المكانة في تاريخ الحضارة فذلك لانها امة تحسن ملكة الصناعات فلا جيوشهم القليلة ولا بلادهم الصغيرة الرقعة خدمت العالم والعمران خدمة اعظم من خدمة صناعهم لهما . فاليك السبب الذي من اجله كان القرن الخامس اجمل عهد في تاريخ يونان والداعي الى ان جعل آثينة تستأثر بفضل الشهرة اكثر من غيرها من المدن اليونانية .

الآداب

الخطباء — امتازت آثينة اولاً ببلاغة خطبائها فكانت حقاً بلد الادب وحسن الالقا فباخطب في مجلس الامة يقرر اشهار الحروب وعقد السلم ووضع القطائع والضرائب وكل الشؤون العظيمة وباخطب التي تلقى في المحاكم يحكم على الوطنيين والرعايا او يبرؤون فللخطباء السلطة وعلى الأمة ان تعمل بنصائحهم ومواعظهم وربما عهدت اليهم بادارة شؤون المملكة فقد عين كليون قائداً ورأس ديموستين الخطيب حرب فيليب . وللخطباء نفوذ وكثيراً ما يلجؤون الى بلاغة القول النبيل من عداتهم في سياستهم وربما اغتنوا لانهم ينالون من ارباب الغايات ما يرضيهم من المال ليعضدوا احد الاحزاب . فقد اخذ اشيل مالاً من ملك مكدونيا وقبض ديموستين دراهم من ملك الفرس .

ثم ان بعض الخطباء ينشئون خطباً ليلقيها غيرهم . ولا يسوغ لمن كانت له قضية ان يرفعها بواسطة محام كما هو الحال عندنا بل تقضي شريعة البلاد ان يتكلم صاحب القضية في قضيته بالذات . فمن ثم كان عليه ان يروح الى احد الخطباء يلتمس منه تأليف خطاب له يستظهره ليتلوه امام المحكمة . ولطالما جاب بعض الخطباء بلاد يونان وتكلموا في موضوعات توحيها اليهم المخيلة فاقاموا لهم كما نقول مقامات وعقدوا اندية ومؤتمرات (١) وكان قدماء

(١) اشتهر عشرة من هؤلاء الخطباء خاصة فدعوا خطباء اتيكيا العشرة

الخطباء يتكلمون بدون تصنع مقتصرين على ان يقصوا على المنابر الكوائن بدون ان يعمدوا الى اساليب خطابية فيقفون في المنبر لا حراك لهم دون ان يصرخوا او يتحركوا وكان الملك بيركليس يخطب خطبه على طريقة هادئة دون ان يحرك اهداب ردائه وعند ما كان يقف في منبر الخطابة وقد تكلل رأسه حسب العادة باوراق الشجر يزعم الشعب انه يتخذه ربا من ارباب الاولمبيا ولكن الخطباء الذين جاؤا بعد ذلك طمعوا في اثارة الامة وتحريك احساسها والنفوذ الى شعورها واصطلحوا على الانشاء المتين يروحون في المنبر و يغدون منشدين متحركين . وما عتمت الامة ان اعتادت هذا الاسلوب في الفصاحة . ولما اخذ ديموستين يتكلم في منبر الخطابة للمرة الاولى طفق الحضور يقهقهون و يضحكون من اسلوبه اذ لم يكن يحسن التلفظ ولا الوقوف ثم ما لبث ان مرن على الالقاء واحسان الحركات المطلوبة حتى صار نديم الشعب وعزيزه . دبت الايام ودرجت الليالي وديموستين خطيب في امته . وقد سُئل بعد عن اول صفة في الخطيب فاجاب بانها العمل ثم سئل ثانية فقال العمل ثم سئل ثالثة فقال العمل . ومعنى العمل طريقة الالقاء فانها كانت تهم اليونان اكثر من الخطبة .

الحكماء — كان منذ قرون عند يونان آسيا خاصة اناس يراقبون المادة و يفكرون في امرها لقبوا بالحكماء والعلماء في آن واحد وقد عُنوا بالطبيعيات والفلك والتاريخ الطبيعي اذ لم يكن العلم قد انفصل بعد عن الفلسفة وهكذا كان حال مشاهير الحكماء السبعة ببلاد يونان في القرن السابع .

السفسطائيون — جاء ناس على قرب عصر بيركليس الى آثينة فاتخذوا تعليم الحكمة صناعة واجتمع لهم كثير من التلاميذ انشؤا يتقاضونهم أجور الدروس التي يلقونها . وجعلوا ديدنهم الانكار على الدين والعادات واصول ادارة المدن اليونانية يوهمون انها غير مبنية على العقل . ويأخذون من ذلك ان المرء لا يعرف شيئاً صحيحاً (مما كان قريباً من الصواب في عيدهم) وليس في طاقته ان يعرف امراً صدقاً كان او زوراً قال احدهم : لا وجود لامر ومتى وجد صعبت معرفته . ويدعى هؤلاء المعلمون للتشكيك بالسفسطائيين . وقد خص بعضهم بملكة الخطابة .

سقراط والفلاسفة — حاول سقراط احد شبوخ آثينة ان ينكر على السفسطائيين و يوقفهم عند حدهم على فقر حاله وبشاعة منظره ولكنة لسانه ولم تكن له دروس يلقيها كاولئك السفسطائيين بل يكتفي بالرواح الى المدينة يخاطب من يصادفهم من جماعتهم بكثرة و يجملهم بكثرة الاسئلة على ان يفكروا فيما ينكر فيه بنفسه . وكان بحثه مع الفتيان خاصة

بعلمهم وينصح لهم . ولم يكن يظاهر سقراط انه شدا شيئاً من العلم بل كان يقول ان غاية علمي انني ادري بانني لا ادري . وود لو دعي فيلسوفاً اي محباً للحكمة لا حكيماً كسائر تلك الزمر . ولم يتدبر شيئاً من طبيعة الكون او مسئلة من مسائل العلم بل كان همه دراسة احوال الانسان . وكانت حكمته في قوله : اعرف نفسك . فكان من ثم مبشراً بالفضيلة . واذ انه كثيراً ما كان يخوض في الموضوعات الاخلاقية والدينية عدّه الاثينيون سفسطائياً . وفي سنة ٣٩٩ مَثل امام المحكمة متهماً بانه يتجافى عن عبادة ارباب المدينة وانه يحاول ادخال ارباب جديدة اليها ويفسد على الشبان عقائدهم فلم يحاول ان يدافع عن نفسه بل حكم عليه بالموت وكانت سنه اذ ذاك سبعين سنة فانتصر له كسينوفون احد تلاميذه والف افلاطون من الفلاسفة محاورات اقام فيها سقراط زعيم المحاورين فاعتبر من ذاك العهد ابا للفلسفة اما افلاطون فقد كان صاحب مذهب معروف (٤٢٩ — ٣٤٨) ولخص ارسطو تلميذ افلاطون (٣٨٤—٣٢٢) علوم عصره كافة في كتبه وقد انقسم الفلاسفة الذين اتوا بعد المعلمين ارسطو وافلاطون قسمين دعيت شيعة افلاطون بالرواقيين وشيعة ارسطو بالمشائين (لان ارسطو كان يعلم وهو يروح ويغدو)

الموسيقيون — كان من العادات القديمة ان يرقص القوم في الحفلات الدينية فيمر جمهور من الفتيان حول مذبح المعبود ثم يرجعون واقفين كالاشراف وقفة ذات معان واشارات . اذ كان القدماء يرقصون باجسادهم كلها ويختلف رقصهم كثيراً عن رقصنا وهو ضرب من التطواف الحماسي اواشبه برواية ذات ايماء وكان هذا الرقص الديني ابداً مشفوعاً باغان تعظيما للارباب ويسمى جمهور الراقصين والمغنين جماعة الموسيقيين . ولم تدن كلها جماعة من الموسيقيين ومنعم ابناء اشرف العيال يعدون كذلك بعد ان يستعدوا زمناً . ومن فرط العناية ان يكون خدمة الرب جديرين بخدمته .

الروايات الفاجعات والهزليات — كان يحتفل الفتيان في الارياف المجاورة لآثينة كل عام باقامة المراقص الدينية اكراماً للرب ديونيزوس اله الكرمة وكان بعض هذا الرقص متثاقلاً يمثل اعمال المعبود فيضرب رئيس جماعة الموسيقيين على وتر اغنية ديونيزوس ويصور جوقه رفاقه وهم اناس لهم ارجل تيوس يسكنون الغابات ثم يأخذون في تمثيل عيش ارباب أخر وابطال قدماء . ثم خطر لاحدهم ان ينصب مصطبة يجيء ممثل يلعب عليها عند ماينقطع جوق الموسيقى عن الضرب بانغامه . وهكذا تم المشهد ونقل الى المدينة بالقرب من شجر الحور الفارسي او مجتمع السوقة فنشأت من ذلك الروايات الفاجعات .

اما الرقص الآخر فكان مضحكاً فينكر الراقصون وجوههم ويتغنون بمدائح الرب

ديونيزوس وقد شابوها باضاحيك يسلون بها الحضور او بتصورات هزلية في حوادث حدثت ذاك اليوم . وقد صنع في الجوق الهزلي ما صنع في الجوق التجمع من ادخال ممثلين ومحاورات ونقل المشهد الى آثينة وهكذا نشأت الروايات الهزلية (الكوميديا) من اجل هذا كانت الروايات الفاجعة تمثل الى يوم الناس هذا ابطالاً اما الروايات الهزلية فتمثل حياة كل يوم واحتفظت الفاجعات (المأساة) والهزليات ببعض اصلها وظلت تمثل امام هيكل الرب وان تكن فاجعة ولئن غدا الممثلون وهم جلوس على المصطبة اصحاب موقع في المشهد فقد ظل جوق التمثيل يرقص ويتغنى وهو يطوف حول المذبح وكان جماعة الموسيقيين في الروايات الهزلية كما كان يجيء المتكررون يبدون ملاحظاتهم على السياسة بغلظة .

الملاهي — جعل في منحدر قلعة الاكروبول ملعب للرب ديونيزوس اله الكرمة يسع ثلاثين الف متفرج وذلك ليحضر الآثينيون كافة هذه المشاهد . وكان هذا الملعب كسائر الملاعب اليونانية مكشوفاً تحت السماء ومؤلفاً من درجات من الحجر مصفوفة على شكل نصف دائرة بازاء جماعة الموسيقى حيث كان يطوف المنشدون وامام المشهد الذي تمثل فيه الرواية . ولا تقام المشاهد فيه الا في اوقات اعياد الارباب بيد ان المشاهد كانت تدوم اذ ذاك عدة ايام متوالية يبدأون في الصباح عند بزوغ الغزالة ويمثلون للحال ثلاث فاجعات وقصة هجوية تنتثي على ضوء المشاعل من الليل والفاجعات الثلاث يؤلفها واحد وتمثل فاجعات اخرى في الايام التالية وهكذا كان المشهد ميدان مسابقة بين الشعراء والامة تعطيهم جوائز الاستحسان واشهر هؤلاء المتبارين اشيل وسوفقلس واريبدس . وقد عهدت المسابقة ايضاً بين مؤلفي الروايات الهزلية ولم يؤثر من كل ما الفوه من الروايات غير قطعة واحدة للفيا اريستوفان الشاعر الهزلي .